أوبرا

المحظيـة

ألحان جايتانو دونزتي

ترجمة

يسرى الأيوبي

المحظية أوبرا بأربعة فصول ألفونسو روبر جستاف فايز

الشخصيات

مزو ليونور دي جوزمان

سوبرانو إينيز وصيفة ليونور

تنور فرناند

باريتون ألفونس التاسع ملك قشتالة

بالثازار رئيس دير رهبان سنت جاك دي كومبوستل

تنور دون جاسبر ضابط عند الملك

سنيور سيد

رئيس المصورين

سيدات وسادة البلاط

غلمان، حرس، رهبان سانت جاك، حجاج 1340

الفصل الأول والرابع في دير سانت جاك في جزيرة ليون

الفصل الثاني والثالث في سيفيل: إشبيلية.

الفصل الأول

في عمق أحد الأروقة التي تحيط بدير سانت جاك دي كومبوستل.

إلى اليمين يُشاهد عبر الرواق أشجار وأضرحة الدير

المشهد الأول:

(المصلّون يقطعون الرواق للذهاب إلى الكنيسة.)

فرناند يرتدي لباس مبتدئ في الرهبانية

بالتازار يظهر في آخر المصلّين

كورس المصلّين إلى هذه الصومعة التقية
نُقيم صلاتنا النقية
لترتفع نحو السماء العلية
أمانينا
وتُرشد الحاج الوفي
إلى الإيمان النقي
هيا، يا أخوتي، لنصلّ يا إخوتي
فالأجراس ها هنا، تصدر الرنينا

(الرهبان يدخلون الكنيسة: بالتازار على وشك أن يتبعهم، ولكنه يشاهد فرناند الذي يقف دون حراك، غارقا في التفكير. يقترب منه.)

المشهد الثاني:

(بالتازار وفرناند.)

بالتازار ألا ترغب أن تصلّي معهم؟
فرناند لا أستطيع.
بالتازار أهناك مزعجات في دورتك
لا تكفي الإله لنذرك؟
فرناند قلت الصواب يا أبي
حين قدمت إليكم
لم أكن مترددا
رميت وراء ظهري
متع الحياة والرغدا
دون ألم أو تنهدا
لحب مضى أو ندما
بالتازار تكلّم، استمر...
فرناند في الهيكل الذي يحميه

سانت جاك والحجاج والناس
تقصده، صلّيت فيه
واستدعيت ملائكة السماء
وكانت متألّقة حواليه
وفجأة شاهدت عيناي
ملاكا، امرأة راكعة
قربي تصلّي خاشعة
وشعرت لمرآها
بكياني يهتز في رجفة وسرور
آه أبت، كم كانت جميلة!
وما كانت بيدي حيلة
وكم كان قلبي بها هائما!
وفي بحر هواها عائما
ما عدت أملك نفسي
واستجديت ربي أن يكون راحما!
لأراها دائما.
وناولتها الماء المقدس جاثما
لعلّ الله يكون لي فاهما
حين لمست يدي يدها ألاّ أكون آثما
إذ حررت في أعماقي قدرا آخر
وأنني فيما اخترت كنت واهما
وأحسست أن مواعظي لا إخلاص فيها
ورفعت إلى السماء يدي طالبا نجدتها
وكانت صلاتي للإله، صلاة لها
ما دام لي قلب يخفق بحبها!
بالتازار أنت ابني، أنت أملي الوحيد

شرفي، لإيماني الرفيد
وارثا لقدري الفريد
لا أريدك عنه أن تحيد

فرناند (مطأطئا رأسه.)
أبي... إني أحبها.
إنه حبي الوليد.

بالتازار (بألم.)
تحب! ... أنت!...
أتقول أنك بدل التاج
الذي تطأطئ له رؤوس الملوك
والصوت الذي ترجف له إسبانيا
واليد التي توحد وتفرق
تريد أن تحب!

فرناند أبي... إني أحبها.
إنه حبي الوليد.

بالتازار أتصدق
أن اللهب الأرضي يعدك بالسعادة!
قل من هي تلك المرأة
التي تنتصر على فضائلك
وتترك من أجلها العبادة!
من هي التي ملكت قلبك...؟
ما اسمها؟ ما مكانتها! من يعرفها؟

فرناند (بعاطفة حارة.)
لا أدري... ولكني أحبها.

بالتازار (رافعا يديه إلى السماء.)
أيتها السماء! لقد ضاع!

اذهب أيها المتهور الجسور
اذهب بعيدا ولا تطأ ولا تطأ هذي البقاع
إن كنت للإله لا تخشع
ولوالدك غير طيع
فلتنزل عليك لعنتي
ولعنة الإله معي!

فرناند معبودي العزيز علي مثلي الأعلى
أنت! من ترى كل صراعاتي
أنت! ثروتي الوحيدة على الأرض
خذ بيدي، أنقذني من ذاتي

بالتازار (يمسك بيد فرناند قبل أن يخرج يقول له بعطف) :
الخيانة والغدر
وابني يتيه ويغوى
بين صخور البحر
يعرف وهو يجري ويتعثّر
المخاطر والحفر
ربما في العاصفة ينكسر
يريد المسكين أن يغرق
عبثا يصل شاطئ الأمان
يحميه من الخطر

فرناند (يقع على ركبتيه.)
باركني يا أبي
قبل أن أغادر

بالتازار أيتها السماء لقد ضاع
اذهب أيها المتهور الجسور
اذهب بعيدا ولا تطأ هذي البقاع

أتمنّى في عدله أو غضبه
أن لا يلعنك إله السماء!

فرناند مثلي الأعلى، العزيز علي معبودي
أنت من تعرف صراعاتي
كن سندي على الأرض
سأغادر، سأغادر،
قد يا إلهي خطواتي.

(فرناند يخرج من حاجز شبك في العمق، ومن بعيد يمـد ذراعيـه لبالتازار الذي يدير رأسه وتفيض الدمعة من عينيـه وهـو يـدخل الكنيسة.)

المشهد الثالث:

(إينيز وصبايا.)

الصبايا الشعاع الذهبي، والنسيم العليل
تداعب الزهور على الشاطئ الجميل
سعيدة حين تتنفس
السلام والفرح والحب حين تميل
نحن من نحميها ونرعاها
إماء لها، لأمرها نمتثل
مولاتنا الجميلة، عطاياها تُبذل
وتقر العيون لها في المقل
صمتا! صمتا!
البحر جميل، والنسيم عليل
ها هو زورقها قد أقبل
انظرنه... انظرنه
يتهادى في خجل

(الصبايا يقتربن من شاطئ البحر وينظرن إلى البعيد.)

إينيز والصبايا

أيها النسيم العليل كن له مخلصا
وقُد زورقها مسبحا
على شواطئ الحب منفتحا
وشراعه لا يتأرجحا
وطريقه مفرحا
ليزين الشاطئ
والعطر منه نافحا
من زهور الياسمين
عن حبه مفصحا.

المشهد الثالث:

(نفس الشخصيات؛ يظهر فرناند في القارب، تحيط به عيون الفتيات وهو يرفع الشراع.)

فرناند (ينزل من القارب مع الصبية التي تساعده.)
أيتها الحوريات اللطيفات المتميزات
من تحمين هذه الأماكن حريصات
على قدومي وعودتي
لماذا تخفين عني عيونكن؟

(الصبايا يملن برؤوسهن إشارة إلى أنهن لا يستطعن الجواب.)

دائما تصمتن!

(يقترب من إينيز.)

لماذا من فضلك
تخفي عني مولاتك
مكانتها، واسمها

وهي على ما هي عليه من جمال؟

إينيز (ضاحكة.)

مستحيل أن أعرف

فرناند أنا لا أستطيع أن أنتزع

منك السر، لماذا هو محال؟

إينيز إنها هي من تحتفظ بسرها

اسألها، تجيبك على السؤال!

(تدخل ليونور وتشير إلى الصبايا أن ينصرفن.)

المشهد الخامس:

(فرناند وليونور.)

ليونور يا مثلي الأعلى! الله قد أرسلك

تعال، آه! تعال قربي لأراك

وجودك يغمر قلبي بالفرح

وأحسه من غبطتي كأنّه مجنّح

فرناند من أجلك القديسون الملتزمون

يكسرون عنهم عبوديتهم

ليونور من أجل هذا حمايتي

ترعى أقدارك

وتقود إلى هذا الشاطئ

سر وطء خطاك

فرناند من أجل سعادتي!

ليونور ربما من أجل ضياعك

فرناند بهذه الرحمة في قلبك

دعيني أعرفك

من أنت؟ ما سرك؟

ليونور لا تسألني ما السبب!
فرناند سأطيع...
ولكن كلمة واحدة!
لأشاركك القدر
وأقدم لك يدي عن طيب خاطر
ليونور أريد ذلك... لكن لا أستطيع
فرناند ما الذي أسمع
عن قدر عجيب موجع
ليس للصراحة طبع
ليونور (لنفسها.)
إنه الإله... الإله المنتقم
من يقطع علي السبل
ويجعلني أحتمل، ما لا يحتمل
(تمسك بيد فرناند لتدلّه على طريق جانبي.)
أحلم وإياك أكثر مما أفكّر بنفسي
في كل يوم أريد إعلامك عن أسباب تعسي
وفي كل مرة أتردد
فرناند لماذا
ليونور ألم تقل يوما
أن الشرف أهم شيء في منصبك
فرناند قلت هذا
ليونور أتأكّد مما يحمل المستقبل
مما ينسقه منصبك
فرناند آه! ماذا يعني
ليونور أن تهرب مني
فرناند أبدا!

ليونور عليك أن تنساني وتغادر

فرناند كيف أنساك

ولا أعود أراك

أحبك، هذه حياتي

وفرحي، وشتاتي

بدونك لا أمل في حياتي

مميت لي هذا الوداع

يتجمد قلبي بارتياع

لعنة على الأرض

وا أسفاه! تحت أي سماء

يدان الحب والسعادة

ويحكم علينا بالشقاء!

بلا رجاء!!

ليونور وداعا! غادر! انس

حلمك وأمانيك

الحب الذي يربطنا

ضياع لكلينا

روحي التي تواسي

آلام جميع الناس

ستزدري وتقاسي

الشكوى والنحيب

في عالم الكروب

وداعا للأرض!

ولتقبل السماء صلاتي

حين تصغي لمناجاتي

أن تعيش سعيدا!

المشهد السادس:

(تدخل إينيز.)

إينيز راكضة وهي تلهث.)
آه! مولاتي، مولاتي!

ليونور ماذا جرى؟

إينيز إنه الملك!

ليونور آه! يا للسماء!

فرناند الملك؟

ليونور (جانبا.)
أشعر بالرجفة
تصل إلى أعماق روحي!
(إلى إينيز.)
سألحق بك
(إلى فرناند وهي تعيده إلى الشارع الجانبي الذي دلّته عليه.)
قف، أصغ، أطع
وداعا! غادر، انس
حلمك وأمانينا
الحب الذي يربطنا
ضاع لكلينا
روحي التي تواسي
آلام كل الناس
ستزدري وتقاسي
الشكوى والنحيب
في عالم الكروب
وداعا على الأرض!

ولتقبل السماء صلاتي
حين تصغي لمناجاتي
أن تكون سعيدا!!

فرناند كيف أنساك
ولا أعود أراك
أحبك، هذي حياتي
وفرحي، وشتاتي
بدونك، لا أمل في حياتي
مميت لي هذا الوداع
يتجمد قلبي بارتياع
لعنة على الأرض وا أسفاه!
تحت أي سماء
يدان الحب والسعادة
ويحكم علينا بالشقاء
بلا رجاء!!
(ليونور ترتمي بين ذراعيه وتعانقه مودعة.)

المشهد السابع:

(فرناند وإينيز.)

فرناند (يحتجز إينيز قبل أن تلحق بليونور.)
من هذا الذي استدعاها؟

إينيز أوه! صمتا!
إنه الملك!

فرناند أعرف هذا؛ مكانته، وميلاده
يتقرب منها... وأنا!
أنا التعيس، مغمور بدون مجد...

إينيز الصبر!

(تشير إليه أن يصمت ويهرب.)

المشهد الثامن:

(فرناند.)

فرناند (وحيدا.)

لا أستطيع حبها أو مغازلتها

(ينظر إلى الطريق الجانبي الذي وضعته فيـه ليونـور، ويـصدر صرخة فرح.)

أيتها السماء!

علي إذن أن أصبح مشهورا

كفؤا للقبها ومكانتها وشرفها

ولا أكون مغمورا

نعم... فرناند! القائد

فأكون منها على موعد

نعم، صوتها يلهمني

ولهجتها الآمرة تسعدني

صداها يمجدني

والأمل بها يغريني

والتغزل بها يحييني

وإلى المجد والحب يدفعني